بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 62 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:06\12\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

قبل أن نبدأ في المقطع الثاني من الآية، بعض الأخوة أرسل لي هذا السؤال، أنه في هذه الآية كانت تعبير بالثياب وفي آيات أخرى التعبير باللباس، هل هناك من نكتة تفسيرية لتفريق واختلاف هذا التعبير أم لا؟

المتتبع في آيات الكريم يجد أن القرآن استعمل مفردتي اللباس الثياب، فهل هما بمعنى واحد وبينهما ترادف، فيكون التغيير اللفظي من واحد إلى آخر يرجع إلى نوع من التفنن والتوسعة على المتكلم – طبعاً هذا يقال في حقنا لا في حق الله سبحانه وتعالى– أم أنه يوجد اختلاف بين اللباس وبين الثياب؟

تارة نقارب هذه المسألة مقاربة لغوية وأخرى نقاربها مقاربة قرآنية.

أما في المقاربة اللغوية سنلاحظ أن أصل في الثياب الثاء والواو والباء، هذا هو الجذر اللغوي لهذه الكلمة. فيقال ثاب يثوب إذا رجع، ففي جذرها اللغوي لهذه الكلمة تستبطن العود الرجوع، ومنه الثواب؛ لأن الثواب أمر يرجع إليه العامل ويعتمد عليه العامل.

بل ذكر بعض أئمة اللغة أن هذا الجذر اللغوي ليس له إلا هذا المعنى وهذا الأصل الواحد، فهذا الثوب الذي ارتديه سمي ثوباً لتكرر الرجوع إليه، فالثوب ليس يلبس ويرمى بل هذا يلبس ويغسله ثم يرجع إليه، خصوصاً في الأزمنة القديمة.

إذاً هذه الكلمة في جذر اللغوي تستبطن معنى العود والرجوع.

أما مفردة اللباس فجذرها اللغوي اللام والباء والسين، هذا الجذر اللغوي يصرف جملة من أئمة اللغة أنه يدل على نحو من المخالطة والتغطية ومنه يؤخذ الالتباس. أحياناً لشدة التشابه بين قضيتين أو بين شيئين يلتبس أحدهما بالآخر، فالتغطية والمخالطة والمداخلة هي المعنى الأصلي لهذا الجذر اللغوي.

وقالوا من ذلك قولك لبست الثوب ألبسه؛ باعتبار أن الثوب يخالط البدن، وهو الذي يرى ابتداء، عندما ننظر إلى إنسان يرتدي هذا اللباس فيستر ما فيه البدن ولا نرى إلا هذا الشيء الظاهر منه.

أما في المقاربة القرآنية نجد أن اللباس في الاستعمالات القرآنية فيه جملة من الخصائص:

الخصوصية الأولى: أن الهدف الأصلي من اللباس هو ستر العيب والبدن والجسم، وليس الزينة. كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿يا بَني آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُواري سَوْآتِكُمْ وَريشاً وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ﴾[1] شبه لباس التقوى بلباس جسد، لكن هذا أفضل؛ لأن التقوى أستر من هذا اللباس الظاهري، فخصوصية اللباس أن الغرض الأصلي منه هو ستر السوءة والعيب والعورة.

الخصوصية الثانية: أن اللباس أكثر لصوقاً بالبدن، فلذا يطلق على القسم الأول الملاصق للبدن، أما ما يأتي ذلك يسمى ثياباً، ننظر إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾[2] هذا التعبير الذي يقول عنه الزمخشري عندما يشرح هذا الآية أنه حقه أن يكتب بماء الذهب.

قالت الآية: ﴿فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾[3] هذا في علم البلاغة -في محله ذكر- أن هذه الاستعارة استعارة تجريدية، والحال عندهم الاستعارة ترشيحية ابلغ من الاستعارة التجريدية بشكل عام.

فهنا القرآن لم يقل فأذاقها الله طعم الجوع، فالذوق يرتبط بالطعم أو لم يقل فكساها لباس الجوع، بل عبر ﴿فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾[4] فالذوق استعاره لكونه يدل على أن هذا العذاب والألم دخل إلى داخلهم، ولم يكتف بالطعم؛ لأن الطعم لخصوص اللسان، فاستعار اللباس لا الطعم ليدلل على أن هذا العذاب كان ملتصقاً بهم، كان ملتصقاً بجسدهم.

إذاً من خصوصية أن اللباس الصق بالجسد.

---

[1] الأعراف: 26
[2] النحل: 112
[3] النحل: 112
[4] النحل: 112

أما الثياب في الاستعمالات القرآنية فمن جهة تمتاز على اللباس بكونها للزينة، نعم قد تتزين بشيء وفي الوقت نفسه يستر العورة، لكن نتكلم عن الغرض الأساس. هذا اللباس الظاهري يكون بالأصل من أجل التزين، ولذا في الآية التي نبحث عنها ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بقرينة المقابلة ﴿يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾[5] إنما هو لبيان ما يتنعمون به بهذا المظهر لا مجرد ستر العورة.

الخصوصية الثانية[6]: الشمول والتغطية للبدن كله، بخلاف اللباس، تقول الآية الشريفة في سورة هود ﴿أَلا حينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُم﴾[7] التغشي هو التغطية والتدثر، هؤلاء لسوء حالهم يريدون أن يستخفوا عن الأنظار، استعملت الآية الثوب والثياب التي تغطي تمام البدن، فيمكن أن يستخفي بها بخلاف اللباس.

الخصوصية الثالثة: أن الثوب في العادة تكون متعددة، وهذا من لوازم الزينة، عادة الزينة لا تحصل بلون واحد أو بقطعة واحدة، الزينة تحتاج إلى تعدد ألوان وتعدد قطع.

ومن هذا القبيل في الآية التي نبحث عنها، نلاحظ ذلك ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ إذاً توجد قطعة ديباج من سندس وقطعة ديباج من إستبرق، وكلمة ﴿عالِيَهُمْ﴾ تدل على نوع من الشمول أيضاً. فمقتضى كون الثياب للزينة أن تتعدد أنواعه لوناً أو نوعاً أو ما شابه ذلك.

من هذا البيان نفهم الفرق حينئذ بين ما جاء في سورة الحج وما جاء في هذه السورة، ففي سورة الحج قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فيها حَريرٌ﴾[8] لما تكلم قبل هذه الآية عن أهل النار، وأنهم في يوم القيامة يُفضحون، وفي مقابل الفضيحة جاء اللباس، ولا داعي لتنويعه أنه من سندس ومن إستبرق؛ لأنه مقابل فضيحة أهل النار، أن هؤلاء لا يفضحون، بل لباسهم فيها من حرير، بخلاف أهل النار التي كان هناك مقابلة في هذه الآية والآيات التي قبلها بين أهل الجنة وبين أهل النار.

فإذاً بالدقة القرآنية هناك فرق بين اللباس وبين الثياب.

---

[5] الحج: 23
[6] التي يمتاز بها الثوب.
[7] هود: 5
[8] الحج: 23